السينما و ما بعد الحداثة:

1- مفهوم مصطلح ما بعد الحداثة

شكل مصطلح ما بعد الحداثة"post modernisme"أحد أهم الإشكاليات البحثية في الدراسات النقدية، الفلسفية و الفنية على مستوى العالم خلال الثلث الأخير من القرن 20. حيث ارتبطت ما بعد الحداثة في وجودها على المستويين التنظيري و النقدي بحركة الحداثة" modernisme " و هي حركة تمرد اجتماعية ظهرت في القرن18، استقت مرجعيتها و قيمتها من الثورة الصناعية، تلك الثورة التي غيرت جميع العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية. أما ما بعد الحداثة فقد استقت مرجعيتها من التغيرات الهيكلية التي حدثت في حقبة ما بعد الصناعية التي استطاعت فيها الثورة المعلوماتية أن تنقل العلم الميكانيكي إلى العالم الالكتروني الافتراضي[1]. إن الارتباط بين الحركتين لا يقتصر على كلمة "حداثة" التي تشكل القاسم المشترك في مسمى كل واحدة منهما بل يتعدى إلى مستوى التتابع الزمني، إذ أن الحداثة تسبق ما بعد الحداثة في الظهور و التجلي كمصطلح إلا أن كل واحدة منهما شكلت حركة مادية من حيث التأثير الذي أحدثته في الواقع الإنساني المعاش.

واجه أنصار و أتباع ما بعد الحداثة العديد من الانتقادات و انجازات عصر الحداثة و موقفها من الفكر، الفن، السياسة و الحياة و هو موقف يرفع من شأن العقل و يرى فيه مصدر كل تقدم في المعرفة و في المجتمع و أنه وحده مصدر الصدق و أساس المعرفة العلمية. كما يظهر ذلك في أطروحات الشكلانية الروسية أو البنيوية و غيرها. مع ذلك فإن ما بعد الحداثة ترى أن الزمن قد تغير و أن الظروف العامة قد تجاوزت كل هذه الانجازات نتيجة العولمة و ظهور اتجاهات ثقافية و مواقف فكرية.

2- تأثر السينما بتيار ما بعد الحداثة

تعد السينما من ضمن الفنون المتأثرة بحركة ما بعد الحداثة، حيث يعد الفيلم من أكثر الفنون تأثرا و امتصاصا لمجمل التغيرات المعرفية و الاجتماعية فضلا عن قدرته على تقديم هذه التغيرات و التحولات بشكل أكثر تميزا من الفنون الأخرى، يرجع ذلك إلى إمكاناته الفنية التي تتيح لصانعيه القدرة على تقديم مع الزمان و المكان بشكل أكثر اختلافا من باقي الفنون الأخرى. إضافة إلى ذلك تلقى السينما إقبالا جماهيريا كبيرا و أكثر الفنون تحريكا لهم، هذا ما أكده جيل دولوز"Gilles Deleuze" عندما صرح أن الصدمة التي تمس مباشرة النظام العصبي للمشاهد هي التي تحرك آلية روحية توقظ المفكر بداخل كل المشاهد، تلك الآلية الروحية لا تعني كما هو الحال في الفلسفة الكلاسيكية قدرة الأفكار على توليد بعضها البعض بشكل منطقي لكنها تعنى الدائرة التي تدخل فيها الأفكار مع

[1]قيس الزبيدي، في الثقافة السينمائية: مونوغرافيات، ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2013، ص 47.

الصورة- الحركة فتؤدى إلى التفكير بقوة الصدمة[2]. إن التطور التكنولوجي الذي هو صلب الحركة في الصورة السينمائية قد جعل من الحداثة صفة عضوية في الفن السابع[3].

3- مراحل و ملامح ما بعد الحداثة:

يقسم المؤرخون مرحلة ما بعد الحداثة إلى عدة أجيال، تشكل الجيل الأول الذي تلا الحرب مباشرة حول اسمين كبيرين: بريسون في فرنسا و روسليني في ايطاليا، تعتبر أعمال هذين المؤرخين همزة وصل بين الكلاسيكية و الحداثة. أما الجيل الثاني فهو الذي جاء في سنوات 1960 وهو جيل صنعه كل من أنطونيوني و بازوللييني و فيليني في إيطالي ومخرجي الموجة الجديدة في فرنسا:جودار، تريفو، ماركر،رينيه و رومير ثم أوشيما في اليابان. أما الجيل الثالث و الذي جاء في سنوات1970 فقد مثله في إيطاليا موريتى و في فرنسا ستروب ويليه و في ألمانيا ويندرز و فاسبيندر أما في أمريكا كاسافتس[4].

تجلت ملامح ما بعد الحداثة في السينما في عدة مظاهر منها: تقديم حكايات تعبر أو ترصد دور قيم و أفكار ما بعد الحداثة في المجتمع الغربي ووضع الإنسان ضمنه و كذا التعبير عن نفس الحالة و لكن من خلال أدوات السينما نفسها، أي من خلال رؤية المبدع للعالم بطريقة مختلفة و أعمال فنية أخرى و حالات متناقضة متجاهلة اعتبارات الزمن، التاريخ، الحقيقة، الواقع و الأخلاق[5]. كما حاولت تحطيم الأبنية السردية المنطقية للسينما السائدة آنذاك، إذ اعتقد صانعوا الأفلام أن رغباتهم التجديدية قابلة للتحقق بقوة ووضوح في مجال الفيلم السينمائي أكثر مما هو متاح لهم في الأنواع الفنية الأخرى. يرى جيمسون فريدريك"Jameson Fredric" أن أفلام جودار "Jean-Luc Godard" و كذا أفلام الموجة الجديدة الفرنسية هي اللحظة التاريخية، الأساسية و المحورية لتجلى ما بعد الحداثة السينمائية. أما ديفيد روبنسون "David Robinson" فأكد أن التجليات الأولى لحركة ما بعد الحداثة في السينما برزت في السينما السرية* " under ground films" في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث ساهم نجاح بعض أفلام هذه السينما ذات الطابع التجريبي في كسر هذه القواعد. كما قدمت سينما ما بعد الحداثة عالما من الصور المبهرة، حيث يتحول الفيلم إلى عرض للصوت و الضوء، لا يخاطب العقل أو يدعوا للتأمل بقدر ما يسعى إلى إغراق

---

[2] علاء عبد العزيز السيد، ما بعد الحداثة و السينما: إعادة قراءة، مجلة الفن السابع، العدد183 ،المؤسسة العامة للسينما، دمشق، 2010، ص11.

[3] سلمى مبارك، من الحداثة إلى ما بعد الحداثة في السينما، مجلة أوراق فلسفية، العدد15، القاهرة، 2006، متوفر على الرابط: http://scholar.cu.edu.eg/?q=smob/files/mn_lhdth_l_mbd_lhdth_f_lsynm.pdf، اطلع عليه: 2016/08/12.

[4] سلمى مبارك،مرجع سبق ذكره.

[5] أمجد جمال،"Pulp fiction" ...سينما ما بعد الحداثة، متوفر على موقع: http://qessawmanazer.com/2016/01/pulp-fiction.html، اطلع عليه:12/06/ 2016.

*تشير السينما السرية أو سينما تحت الأرض إلى نوع من أنواع الأفلام التجريبية أو الطليعية التي بدأت صناعتها في الولايات المتحدة الأمريكية منذ أواخر 1950، هي أفلام متحررة من القالب القصصي و المضمون الاجتماعي و الدروس الأخلاقية. لمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى: فتحي العشري، سينما نعم، سينما لا، ثاني مرة، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2006، ص169.

المشاهد حسيا باستخدام وسائل تكنولوجية لتشكل نوعا من الصدمات الحسية، البصرية، السمعية و الشعورية لدى المتفرج، من هنا علق النقاد أن فيلم ما بعد الحداثة لا يحمل معنى متفرد أو حتى مقنع بقدر ما يريد إحداث أكبر قدر من التأثيرات الانفعالية لدى مشاهده[6].

من وجهة نظر ديفيد لودج" David Lodge "دمرت ما بعد الحداثة أنساق و قواعد البناء السردي بدلا من الطريقة الأسطورية أو الرمزية للترتيب و إعطاء التاريخ شكلا و دلالة. فهي تتجه نحو تدمير المعنى و السياق و بالتالي تدمير الدلالة و تقديم كل ما هو مخالف و غير تقليدي بمعنى أنها لا تعير أهمية للبناء المنطقي و التسلسل الزمني للفيلم[7]. كما يعد ظهور التيار السينمائي دوجما95 * من أبرز التيارات التي جسدت ظاهرة ما بعد الحداثة في السينما، حيث كسرت قواعد العمل السينمائي و تجسد ذلك من خلال:

- رفض استخدام الديكور و الاكسسوارت.
- ضرورة تسجيل الصوت مع عملية التصوير بشكل متزامن.
- رفض قاطع لأن يكون الصوت مسجلا في أية مرحلة من مراحل ما بعد التصوير.
- استخدام الكاميرا المحمولة في التصوير.
- الاستغناء عن الألوان في الفيلم.
- عدم استخدام أي إضاءة اصطناعية مساعدة في التصوير إلا في حالة الضرورة القصوى.
- الاستغناء عن الموسيقى التصورية.
- عدم استخدام المؤثرات البصرية أو الصوتية[8].

---

[6] سلمى مبارك، مرجع سبق ذكره.

[7] علاء عبد العزيز السيد، مرجع سبق ذكره، ص 529.

* دوجما 95 هو تيار سينمائي ظهر في 1995 في الدانيمارك. تعنى كلمة الدوجما الشيء الثابت ذو الأفكار التي لا يمكن تغيرها بأي شكل من الأشكال، قاد هذا التيار المخرج لارس فونترايرLars Vontruer"، للمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى: سعيد الشيمي، الصورة السينمائية من السينما الصامتة إلى الرقمية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2013، ص 393.

[8] نفس المرجع ، ص ص 394-395.